العدد (٦) ذو القعدة ١٤٣٩ هـ / تموز ٢٠١٨م

الموعود

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

- رؤية الإمام عليه السلام في زمن الغيبة - الشيخ كاظم القره غولي
- المقومات البنيوية للدولة المهدوية المرتقبة والمتطلبات الواقعية - الباحث مرتضى علي الحلي
- الغيبة المهدوية مصداق للعدالة الإلهية - هيجاء عبد الحسن كريم
- أسباب استمرار غيبة الإمام عليه السلام في عصر ازدهار الحكومات الشيعية - نعمة الله صفري فروشاني
- إشكالية الثأر وقتل الذراري في العقيدة المهدوية - الشيخ محمد رضا الساعدي
- تحليل حول أحاديث الغيبة في كتاب (الغيبة) للنعماني - كاظم قاضي زاده
- الآثار المهدويّة من النصف الثاني من القرن الخامس إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري - السيّد علي الحسيني - ترجمة: السيد جلال الموسوي
- النفس الزكية - السيّد مسعود بور سيّد آقائي - ترجمة: محمّد علي القاسمي
- الإمام المهدي عليه السلام في أحاديثِ الإمامِ عليِّ بنِ الحسين عليه السلام قراءةٌ تأويليةٌ - حاكم حبيب الكريطي

تمهيـــــدنا

القيادة المبكّرة في الفكر الإنساني

رئيس التحرير

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الممتحنة: ٦).

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٧-٣٠).

القدوة أو الإمامة أو النبوَّة أو القيادة..

اعتبارات ضرورية تقوم بها الحياة النظامية الإنسانية.

يتفرَّع علىٰ اعتبار القائد عقلياً أو عقلائياً، إلهاً كان المعتبِر أم بشراً، يتفرَّع عليه أن يملك سلطةً تكوينيةً واعتبارية كذلك..

كما ويتفرَّع علىٰ الاعتبارية منها الامتثال في حدود دائرة الاعتبار الممنوح من قِبَل المانح لذلك القائد أو الإمام..

ولازمه الاتِّباع الاختياري الذي ينتج عنه تحصيل الغرض.

إنَّ من الضرورات التي لا ينبغي الخوض فيها ولا محيص عنها هي ضرورة الاجتماع، وينتج عن الاجتماع تصارع الإرادات بلا شكٍّ..

نشأ من هذين الأمرين (ضرورة الاجتماع، تصارع الإرادات) ضرورة ثالثة تترتَّب علىٰ الجاعل أو الخالق للاجتماع ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾

(الحجرات: ١٣)، وهي أن يوجد ما به الحدُّ من ذلك التنازع وأن يضبطه ويُنظِّمه.

وهذا من مفاتح القول بالإمامة الإلهيَّة، وأحد الأدلَّة عليها.

ومن الطبيعي أن تكون لهذا المجعول (القدوة، القائد، الأُسوة، الإمام، الرئيس) شروطٌ وقيودٌ ومَلَكات بها يتمكَّن من ممارسة دوره والقيام بوظيفته. وان كان لكل واحدة من هذه المعاني جهات اشتراك واختلاف، يصفها منها القدر المتيقن مما هو متفق بينهما جميعاً.

وهنا نسأل:

هل جُعِلَ العُمُر (سنٌّ محدَّد للقيام بهذه المهمَّة) ابتداءً أو انتهاءً كشرطٍ في القائد أم لم يُجعل شيءٌ من ذلك فيه؟

وينبغي أن ينحلَّ السؤال إلىٰ اثنين:

أوَّلاً: هل جُعِلَ علىٰ مستوىٰ الاعتبار الاجتماعي العقلائي شرطٌ من هذا القبيل؟

ثانياً: هل جُعِلَ علىٰ مستوىٰ الاعتبار الإلهي السماوي شرطٌ من هذا القبيل؟

وبعبارة أُخرىٰ: هل القيادة مشروطة أم مطلقة من حيث العُمُر؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال نتحدَّث عمَّا ينبغي عليه البحث في مثل هكذا شروط: كشرطية العلم والتخصُّص في الأشياء، أشياء دينية كانت أم دنيوية، وكشرطية الذكورة مثلاً لتسنُّم بعض المناصب، أو كشرطية الحياة فيها، أو كشرطية الحضور والظهور أمام المرؤوسين والمأمومين أم لا..

وحديثنا عن شرطية العُمُر المحدَّد.

والحديث علىٰ مستوىٰ الأفكار والتصوّرات كما علىٰ مستوىٰ الأدلَّة والإثبات، وسنعرض في آخر البحث نماذج تطبيقية نستدلُّ بها علىٰ مدَّعانا من عدم الشرطية. فلا بدَّ أوَّلاً أن نُحدِّد دائرة القيادة ومراتبها، فنحن نعلم أنَّ للقيادة رُتَباً عديدة من حيث عدد الأفراد، فقد يكون الشخص قائداً لأُسرة

أو عشيرة أو قرية أو بلدٍ، وقد يكون قائداً للأرض كلِّها، بل قد يكون قائداً للكون، فلا بدَّ هنا أن يحمل مؤهِّلاتٍ خاصَّة.

وفي حديثنا عن المؤهِّلات وعن دائرة القيادة فإنَّها ستتنوَّع بتنوُّع تلك الدائرة وما يحتاجه القائد من لوازم لنجاح قيادته، فمثلاً من يدير الكون يحتاج إلىٰ قدرات تكوينية بالإضافة إلىٰ قدراته التنفيذية والتشريعية والقضائية والمالية والسياسية وغيرها، فيما قد لا يحتاج من يدير أُسرةً أو عشيرةً إلىٰ كثير من تلك المؤهِّلات.

وفي دائرة الحديث عن المؤهِّلات، فمثلاً بعض القيادات تحتاج إلىٰ مؤهِّلات فكرية، وأُخرىٰ تحتاج إلىٰ مؤهِّلات جسدية، وأُخرىٰ سلوكية وعملية، وفي بعضها إلىٰ مؤهِّلات غيبية.

وهذه المؤهِّلات قد تُشتَرط ابتداءً ولا تُشتَرط استمراراً، وبعضها قد يُشتَرط ابتداءً واستمراراً، وهكذا.

البحث الثبوتي:

وفي مقامه نذكر نقطتين:

النقطة الأُولىٰ: حيث إنَّ حديثنا عن شرطية العُمُر في الإمامة، فلا بدَّ أن نطلَّ إطلالة سريعة علىٰ معنىٰ الإمام والقدوة والأُسوة والقائد، لكي نستعين بهذه الإطلالة علىٰ تسهيل تحصيل النتائج.

فالإمام يُراد به مقدَّم القوم ومثالهم الذي يأتمُّون به، سواءً كان رئيساً أو قائداً، وعبَّرت عنه بعض المعاجم بهذه العبارة: (من يُقتدىٰ أو يُؤتمَّ به من رئيس أو غيره).

فيما عرَّفت القائد بعض المعاجم بأنَّه ما برز من الجبل، وهو القدوة والمرشد، وعلىٰ هذا التعريف يكون المعنىٰ الذي نريده في محلِّ بحثنا هو (الشخص البارز الذي يُنظَر إليه ويُقتدىٰ به).

أمَّا الأُسوة التي وردت في الآية المتقدِّمة، فهي بمعنىٰ القدوة، وقد ذُكِرَت لها عدَّة

معانٍ، منها: (ما يُتَّخذ مثالاً يُقتدىٰ به ويُتَّبع)، وهذا المعنىٰ الأخير هو الأنسب بما نريد نعم ان اتباع كل شيء بحسب ما يشترط فيه من مؤهلات كما تقدم.

فيما ذكرت جملة من الأخبار التي تحدَّثت عن معنىٰ الإمامة بأنَّ الإمام إنَّما سُمّي إماماً لأنَّه قدوة للناس منصوب من قِبَل الله تعالىٰ.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: (وجعله – أي رسول الله صلى الله عليه وآله – قدوةً للمتَّقين).

وها أنت تلاحظ أنَّ الإمامة والقدوة لغةً بمعنىٰ واحد، كما أنَّ الأُسوة لها نفس المعنىٰ، ولذلك عبَّر أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «أنا قدوة أهل الكساء»، والإطلاق مقيَّدٌ بالنبيِّ صلى الله عليه وآله للضرورة.

ونقرأ في زيارته عليه السلام: «السلام عليك يا قدوة الصدِّيقين».

وفي توقيع للإمام المهدي عليه السلام: «وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أُسوة حسنة».

يظهر من خلال هذه النصوص أنَّ معنىٰ الإمامة والقدوة والأُسوة والقائد والرئيس كلَّها تأتي بمعنىٰ واحد وإن اختلفت متعلَّقاتها، فكون الشخص قدوة في الجانب العلمي يختلف عنه في الجانب المعنوي الروحي وكذا يختلف عنه في الجانب الاداري او الاجتماعي وهكذا.

النقطة الثانية: إذا ما رجعنا إلىٰ الهدف من جعل القائد، وهو ما يُقرِّره أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «لا بدَّ للناس من أمير برٍّ أو فاجرٍ...»، إلىٰ أن يقول: «يقاتل فيها العدوَّ، وتأمن بها السُّبُل».

فإنَّنا نجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلىٰ أنَّ الغاية من القيادة هي حفظ النظام.

فمتىٰ حُفِظَ النظام تحقَّق الهدف من القيادة، والقائد في هذا الجانب قدوة وان لم يكن كذلك في غيره.

نعم القيادة الإلهيَّة مع حفظها للنظام الاجتماعي تُقَدِّمُ للبشرية – بل وغيرهم – سُبُل التكامل والارتقاء الروحي وتحصيل الآخرة من خلال تطبيق النظام الشرعي.

هنا نقول: فأيُّ شخص يُحقِّق حفظ النظام يكون هو القائد بالبيان المتقدِّم.

ولا بدَّ أن نسأل هنا: هل يُشتَرط فيمن يحفظ النظام، الحياةَ؟

فإنَّنا نجيب وبالضرورة: نعم، إذ لا بدَّ من كونه حيّاً كي يمارس دوره.

ثـمّ نسـأل أُخـرىٰ: هـل يُشـتَرط فيـه الحضـور؟ بمعنـىٰ أن يُـرىٰ مـن قِبَـل النـاس عندمـا يـمارسُ مهـامّ عملـه؟ فيـه كلام، والصحيـح أنَّـه لا يُشـتَرط حضـوره، لأنَّ الشـواهد القرآنيـة - بـل وحتَّـىٰ العقلائيـة - عكسـت لنـا أنَّ هنـاك مـن مـارس الوظيفـة القياديـة وهـو مختـفٍ وغـير ظاهـر، بـل حتَّـىٰ الظاهـر منهـم ليـس ظاهـراً للـكلِّ.

ثـمّ نسـأل ثالثـةً: هـل يُشـتَرط في القائـد علـمٌ خـاصٌّ (العصمـة)؟ وهـل يُشـتَرط فيـه الذكـورة؟ تفصيلـه في محلِّـه.

البحث الإثباتي:

هـل يُشـتَرط في القائـد عُمُـر محـدَّد؟ هاهنـا محـلُّ بحثنـا، ومقتضـىٰ إطلاقـات الأدلَّـة - والتـي منهـا مـا تقـدَّم إجمـالاً - عـدم الاشـتراط.

بـل إنَّ سـيرة العقـلاء قائمـةٌ عـلىٰ عـدم الاشـتراط، هـذا في اختيـار العقـلاء لمنصـب ليـس فيـه حيثيـة غيبيـة، فكيـف بمـن فيـه هـذه الحيثيـة، وإليـك شـواهد هـذا:

روىٰ الكلينـي في الـكافي (ج ١/ ص ٣٨٣): عـن أبي جعفـر عليه السلام: ... يكـون الإمـام ابـن أقـلّ مـن سـبع سـنين؟ قـال عليه السلام: «نعـم، وأقـلّ من خمـس سـنين...».

وفيـه أيضـاً (ج ١/ ص ١٩٩) حديـث عـن الإمـام الرضـا عليه السلام يذكـر فيـه الإمامـة، فيقـول عليه السلام: «هـل يعرفـون قـدر الإمامـة ومحلِّهـا مـن الأُمَّـة فيجـوز فيهـا اختيارهم؟» أي شروطهم.

ثـمّ يقـول عليه السلام: «إنَّ الإمامـة أجـلُّ قـدراً، وأعظـم شـأناً، وأعـلىٰ مكانـاً، وأمنـع جنابـاً، وأبعـد غـوراً مـن أن يبلغهـا النـاس بعقولهـم».

فـإذا لا يبلغونهـا بعقولهـم فـلا يبلغـون شروطهـا، ثـمّ قـال عليه السلام: «أو ينالوهـا بآرائهـم...».

ثـمّ ذكـر الإمـام عليه السلام شروط الإمامـة، فقـال: «فجعلهـا في ذرّيتـه أهـل الصفـوة والطهـارة...، فصـارت في ذرّيتـه الأصفيـاء الذيـن آتاهـم الله العلـم والإيـمان...، الإمـام المطهَّـر مـن الذنـوب، المـبرَّأ مـن العيـوب، المخصـوص بالعلـم...».

فـترىٰ الإمـام عليه السلام يذكـر الشـروط الجعليـة مـن العلـم والعمـل، ثـمّ يـأتي ليُحـدِّد الوظيفـة، فيقـول عليه السلام: «إنَّ الإمامـة زمـام الديـن...، ونظـام المسـلمين، وصـلاح الدنيـا...».

ثـمّ ذكـر عليه السلام المانـع منهـا، فقـال: «فأبطلـت إمامـة كلِّ ظـالم إلىٰ يـوم القيامـة...»، أي آيـة إبراهيـم عليه السلام.

ثـمّ قـال عليه السلام: «فمـن ذا الـذي يبلـغ معرفـة الإمـام أو يمكنـه اختيـاره؟ ... رامـوا إقامـة الإمـام بعقـولٍ حائـرة وآراء مضلَّـة، فلـم يـزدادوا منـه إلَّا بُعـداً...».

فإذا كانت هذه المؤهِّلات، فمن يقدر علىٰ التشخيص؟

وهـا أنـت تلاحـظ بوضـوحٍ رغـم كـون الإمـام عليه السلام في مقـام البيـان مـن جهـة الشـروط لمنصـب الإمامـة لم يذكـر شرط العُمُـر، بـل قـد دريـت بـما تقـدَّم أنَّ الأدلَّـة دلـت علىٰ عـدم الاشـتراط، لا بـل نَصَّـبَ الشـارع المقـدَّس الوليـد الصغـير لأيّـام - بـل سـاعات - لأخطـر منصـب إلهـي - النبـوَّة - وهـو قيـادة بـلا شـك.

وعليه فلا الثبوت يسعف من يشترط سنّاً معيَّناً في الإمامة، ولا الإثبات.

نعـم نؤكـد ان المؤهـل لـكل منصـب - روحـي - اداري - هـو الرشـد، ورشـد كل شيء بحسـبه كـما تقدمـت الاشـارة اليه.

ولمزيـد مـن الاسـتئناس نذكـر بعـض النـماذج التـي كانـت قـدوة أو قـادة في مجتمعاتهـا ولم يشـترط فيهـا النظـام الاجتماعـي عُمُـراً محـدَّداً وسـنّاً مقيَّـداً.

نماذج ممَّن تولُّوا الحكم وهم صغار السنّ:

١ - (تـوت عنـخ آمـون)، وهـو ابـن (أمنحوتـب الرابـع) (أخناتـون)، أصبـح مَلِـكاً وهـو طفـل عمـره (٩) سـنوات تقريبـاً، وتـوفّي وعمـره (١٩) سـنة.

٢ - السلطان محمّد الرابع العثماني (١٦٤٨م)، عمره (٧) سنوات.

٣ – مَلِكة إسكوتلندا (ماري استيوآرت)، أصبحت مَلِكة وعمرها (٦) سنوات.

٤ – المَلِك الإسباني (الفونسو) الثالث عشر، حيث تمَّ إعلانه مَلِكاً حال ولادته عام (١٨٦٨م)، إذ توفّي والده وهو حملٌ له ستَّة أشهر.

٥ – المَلِك فيصل الثاني مَلِك العراق، أصبح مَلِكاً وعمره (٤) سنوات، وُلِدَ (١٩٣٥م) وأصبح مَلِكاً (١٩٣٩م).

٦ – المَلِك (أُويو)، عمره (٣) سنوات، وهو مَلِك مملكة (تووورو)، تقع في (أُوغندا)، يسكنها نحو (٢) مليون، ولا زال حيّاً وهو مَلِك.

الأئمَّة عليهم السلام صغار السنّ:

١ – الإمام الجواد عليه السلام، تولّىٰ الإمامة – علىٰ بعض الروايات – وعمره [٩] سنوات.

٢ – الإمام الهادي عليه السلام، تولّىٰ الإمامة وعمره [٨] سنوات.

٣ – الإمام المهدي عليه السلام، تولّىٰ الإمامة وعمره [٥] سنوات.

الانبياء صغار السن:

١ – النبيُّ عيسىٰ عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٧-٣٠).

٢ – النبيُّ يحيىٰ عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢).

إذن لا شرطية للعُمُر في القيادة وإن كان شرطاً في أشياء أُخرىٰ.